

النقوش الوقفية ومكانتها في تدوين تاريخ المغرب الأوسط

وقفيات مساجد تلمسان أنموذجا

Endowment Inscriptions and Their Contribution in Recording the History of the Central Maghreb:

The Endowments of Tlemcen's Mosques as a Case Study

محمد بن عربة^{*1}¹ جامعة معسكر - مصطفى اسطمبولي (الجزائر)

mohamed.Benarba@univ-mascara.dz

<https://orcid.org/0000-0002-3617-565X>

تاريخ الاستلام: 2026-01-17 تاريخ القبول: 2026-04-13 تاريخ النشر: 2026-05-19

ملخص:

أشتهرت تلمسان بإعتبارها من كبريات حواضر المغرب الأوسط والجزائر خلال العصر الوسيط، والتي أسهمت في الحضارة العربية الإسلامية عموما، والمغاربية على وجه الخصوص، وقد حفظ تاريخها، ومآثر حكامها، وصدارة علو كعب علمائها، وعجيب عمرائها في العديد من الوسائط المادية والشفوية، سواء بأنامل وذاكرة ساكنتها ونخبها، أو من الرحالة والعلماء الذين زاروها وانبهروا بمعالمها، وإن كانت الكثير من معالمها قد لامسها الإندثار فإن ما تبقى منها قد نجى لاسيما النقوش الوقفية، وهي تعتبر من أدق الوسائط للتعريف، وأبعدها عن التحريف والتزييف. من هذه الأهمية لهذه الوسائط المتبقية في تاريخ تلمسان الحضارية الوسيطة

كلمات مفتاحية: المغرب الأوسط؛ مساجد تلمسان؛ النقوش الوقفية؛ الكتابة التاريخية؛ الحضارة العربية الإسلامية.

Abstract:

Among the key reasons for the prominence of Tlemcen during the medieval period lies in its status as one of the major urban centers of the Central Maghreb and Algeria as well. The city made a distinguished contribution to Arab-Islamic and Maghribi civilization, and its history, the legacy of its rulers, the eminence of its scholars, and the splendor of its architecture have been preserved through a variety of material and oral sources. These include the testimonies of its own residents and elites, as well as the accounts of travelers and scholars who visited and admired its monuments. Although many of Tlemcen's architectural monuments have vanished, some have endured; notably the endowment (waqf) inscriptions, which represent one of the most reliable documentary sources, largely immune to distortion or falsification. Given the importance of these surviving inscriptions for understanding the civilization of medieval Tlemcen,

Keywords: Central Maghreb; Mosques of Tlemcen; Endowment inscriptions; Historical documentation; Arab-Islamic civilization.

* المؤلف المرسل.

1. الوقفيات في الإسلام: وسائط تاريخية ومعالم حضارية:

1.1. مفهوم الوقف:

أ. لغة:

الْوَقْفُ يرادفه كلمة " حَبَسَ " في أغلب التعريفات اللغوية، والْوَقْفُ أكثر إستعمالاً في المشرق، بينما الحَبَسُ أكثر تداولاً في المغرب الإسلامي.

لمصدر لفظة وَقَفَ في اللغة العربية عدة معاني، فالْوَقْفُ هو: خلاف الجلوس، وقف بالمكان (بفتح القاف) وقف (بسكون القاف) ووقوف، فهو واقف، والجمع وقف (بضم الواو، سكون القاف)، ويقال: وَقَفْتُ الدابة: تقف وَقَفًا ووقوفًا، وَقَفْتُهَا أنا وَقَفًا، ووقف الدابة جعلها تقف (ابن منظور، دت: 359).

ولا يختلف التعريف كثيراً عن تعريف الحبس، ومنه ما جاء في " القاموس المحيط ":

"الحبس: المنع، كمقعد، حَبَسَهُ يَحْبِسُهُ...وقفه صاحبه من نخل أو كرم أو غيرها: يحبسُ أصله، وتسبل غلته، والحَبِيسُ من النخل: الموقوف في سبيل الله أي يبقى أصله، ويجعل ثمره في سبيل الله". (الفيروز بادي، 1998: 537).

بمعنى أن الوقف: الحبس والمنع (السرخسي، ج 12، 1993: 27).

ب. إصطلاحاً:

أورد الفقهاء عدة تعريفات تتفق في المعنى وإن اختلفت في اللفظ.

يعرفه " ابن قدامة المقدسي " بأنه: " تحبیس الأصل وتسبیل الثمرة " (ابن قدامة المقدسي، ج 06، 1983: 18).

ويفسر لفظ تسبيل الثمرة أو المنفعة الوارد في التعريف أنه مستمد من لفظ السبيل، فتسبيل الثمرة هو أن تجعل لها سبيلاً، أي طريقاً لمصرفها والمراد بذلك أوجه الإنفاق وطرق صرف غلة الشيء الموقوف (المصري، 1999: 10).

كما يعرفه " ابن حجر العسقلاني " بأنه: " منع بيع الرقبة والتصدق بالمنفعة على الوجه المخصوص " (ابن حجر، ج 05، 1970: 538).

وهو عطية مؤبدة بشروط معروفة في الفقه، أختص به المسلمون (ابن الملقن، ج 02، 2017: 391).

3: شرعاً:

إن مشروعية الوقف في الدين الإسلامي تستند إلى ما ورد في كتاب الله عزوجل، وإلى ما جاء في سنة نبيه المصطفى سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم، وإلى إجماع علماء الأمة.

• القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم نصوص عديدة تحث المسلمين على البذل والإنفاق وفعل الخيرات، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران، الآية: 92).

• السنة النبوية:

جاء في السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على مشروعية الوقف، نذكر منها:
﴿جاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أصبت مالا لم أصب مثله قط كان لي مائة رأس فاشتريتها بها مائة سهم من خير من أهلها وإني قد أردت أن أتقرب بها إلى الله عز وجل قال: فاحبس أصلها وسيل الثمرة﴾. (حديث صحيح: أخرجه النسائي في السنن، كتاب الأحباس، باب حبس المشاع، رقم: 3604).

وأخرج مسلم بسنده في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه قال: ﴿أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخيبر، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عني منه، فما تأمر به؟ قال: إن شئت حبست أصلها، وتصدق بها قال: فتصدق بها عمر، أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القرى وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول قال: فحدثت به ابن سيرين، فقال: غير متأثر مالا﴾ (حديث صحيح: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الوصية، باب الوقف، رقم: 1633).

قال "ابن حجر العسقلاني": "وحديث عمر رضي الله عنه هذا أصل في مشروعية الوقف" (ابن حجر، ج 05، 1970: 583).

وقال "الإمام النووي" شارحا ومعلقا على هذا الحديث: "وفي هذا الحديث دليل على صحة أصل الوقف، وأنه مخالف لسوائب الجاهلية". (النووي، دت: 496).
وتعد أول وثيقة وقفية في الإسلام وثيقة الصحابي الجليل والخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونصها هو:

"عن صدقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نسختها لي عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب عبد الله عمر في ثمغ -أرض قرب المدينة- فقص من خبره نحو حديث نافع، قال: غير متأثر مالا، فما عفا عنه من ثمره فهو للسائل والمحروم. قال: وساق القصة، قال: وإن شاء ولي ثمغ اشترى من ثمره رقيقا لعمله، وكتب معيقيب وشهد عبد الله بن الأرقم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين، إن حدث به حدث أن ثمغا، وصرمة ابن الأكوع، والعبد الذي فيه، والمائة سهم التي بخيبر، ورقيقه الذي فيه، والمائة التي أطعمه محمد صلى الله عليه وسلم بالوادي- تليه حفصة ما عاشت، ثم يليه ذو الرأي من أهلها: ألا يباع ولا يشتري، يُنفقه حيث رأى من السائل والمحروم وذوي القرى، ولا حرج على من وليه إن أكل أو أكل، أو اشترى رقيقا منه". (حديث صحيح: رواه أبي داود في السنن، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الرجل يوقف الوقف، رقم: 2879).

• الإجماع:

أجمع علماء الأمة على مشروعية الوقف عبر كافة الأزمان ومختلف الأقطار، وكان من سبل الخيرات التي تسابق فيها الحكام والعوام، وهو من أكثر الصدقات تحقيقا لمرضاة الله، وتكثيرا للأجر، وتمتينا لأواصر الصلة بين الأقارب والمسلمين، ويعتبر من ركائز تحقيق التنمية داخل المجتمعات المسلمة.

2.1. القيمة التاريخية والحضارية للوقفيات:

أ. مفهوم الكتابة الوقفية:

يقصد بها: تلك النقوش التي تتضمن نصوص بعض الوثائق أو حجج الوقف المتعلقة ببعض العمائر الأثرية. (العمرى، 2014-2015: 48).

وهي تعرف كذلك بـ "الحوالات الحبسية" ويعرفها "محمد المنوني" بأنها: "سجلات تقييد الأملاك الحبسية والوثائق التي لها صلة بالموقوقات، بما في ذلك لوائح الكتب المحبسة على المساجد والمشاهد، حيث مازالت تضم معلومات نادرة وقيمة...". (نقلا عن: المنوني، ج: 01، 1993: 125). وتعرف أيضا الكتابة الوقفية بأنها: "نصوص تخليدية بالأساس ولكنها تكتسي طابعا قانونيا يتعلق بمؤسسة الوقف الإسلامية، وتتعرف على هذه النوعية من النصوص من خلال عبارات: "أوقف" أو "حبس" أو "هذا الحبس". (عبد الجواد، ع: 182، 2007: 14).

بالإضافة إلى ذلك تحذر البسملة والتصلية وآيات قرآنية قارئ النص من اختراق ما يقتضيه العقد مصداقا لقوله تعالى:

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (سورة البقرة، الآية: 181). كما تعرف الوثائق الوقفية على أنها: "حافضة للوقف والتاريخ، وهي طريقة شرعية لحماية الوقف وصونه من التعدي والضياع، كما أنها سجل لحفظ الحضور التاريخي للأمة والمنجزات الإنسانية التي حققتها، والمشاركات الحضارية التي أسهمت فيها، والعمران النافع الذي شيدته". والوثائق الوقفية هي من أسباب حفظ الوقف، وأفضل دليل على وجوده، ففيها تودع الحجة والشهادة، وبها تعرف حدود الوقف ومصرفه ومرجعه، ومنها تستخرج شروط الواقف ومقاصده، ومن خلالها نتوصل إلى شهادات رسمية تؤثق تاريخ الحضارة الإسلامية ومسيرتها. (بوهاش، دت: 9). ويتكون النص الوقفي من ثلاث عناصر يستوجب توفرها، وهي على النحو التالي:

- الواقف: الأمر بالأشغال أو مؤسس الحبس.
- الموقوف: موضوع الوقف كالمباني والعقارات.
- الموقوف عليه: الجهة أو الجهات المستفيدة من الوقف.

ب. أهمية الكتابات الوقفية:

أصبحت الكتابات العربية الإسلامية علما قائما بذاته، له قواعده ومناهجه، وهو يدرس في الجامعات العربية والإسلامية، وفي الجامعات الغربية، ويُعرف إصطلاحا في اللغة الأجنبية باسم "La Calligraphie" أو "La paléographie" أي علم قراءة وفك الخطوط، ورغم التطور الهائل في هذا الحقل من خلال المستشرقين والجيل الجديد من الباحثين الغربيين، غير أن هذا الميدان ورغم الجهود المبذولة لا يزال قاصرا ومختلا في العالم الإسلامي، ويعد المستشرق السويسري Max Van Berchem (1863-1921) رائد علم النقائش العربية، ذلك أنه أول من عمل وقام بالتحسيس بقيمة النقائش وأهميتها في كتابة التاريخ والدراسات اللغوية وتاريخ الفن الإسلامي.

تبرز النقوش بصفة عامة والنقوش الوقفية على وجه الخصوص كمصادر مادية جد مهمة لإعادة كتابة تاريخنا الوسيط، وهي أبعد ما يكون عن التزوير والتحريف والتصحيف، لكونها معلومات واقعية لم يتدخل فيها أي طرف، ولم تتحكم فيها المصالح الشخصية والميول الذاتية، كما أنها تؤرخ للأحداث في زمانها، وهذا ما يحفظ الحقائق التاريخية، ويضفي عليها الواقعية والموضوعية، على عكس النصوص الإخبارية والتي هي قابلة للزيادة والنقصان، والتصرف، والتصحيف.

إن النقوش والكتابات الأثرية لاسيما الوقفية منها تحمل طابعا رسميا بسبب أن الفاعل فيها يكون في الغالب: خليفة، سلطان، أمير، والي، وهذا ما وجدناه في الكتابات الوقفية بالمغرب الأوسط والجزائر أواخر العصر الوسيط، والتي كان مصدرها السلطة المحلية الحاكمة على غرار: نقوش وقفيات سلاطين الدولة الزيانية، أو السلطة الطارئة الغازية كوقفيات حكام الدولة المرينية.

إن النقوش الوقفية هي وعاء تاريخي يؤرخ لأصحابها الفاعلين من الحكام بذكر أسمائهم وكناهم، أو من بقية الطبقة الحاكمة وألقابهم، وهذا لا يعني أنه يقتصر على السياسيين بل توجد أوقاف خلّدت بنقوش وكتابات أصحابها: علماء، فقهاء، أرباب أعمال وحرفيين، ومن عامة الناس.

وتحفظ لنا النقوش الوقفية بدقة تاريخ إنشاء الهياكل العمرانية، أو تواريخ توسعتها، أو إعادة ترميمها، وهذا ما وقفنا عليه خلال النماذج المدروسة على غرار: الجامع الكبير بتلمسان وخزانته السلطانية، ووقفية مسجد أبي مدين ومدرسته بالعباد.

ترتبط الكتابات الوقفية في الغالب بالكتابات الإسلامية التأسيسية، وهذه النماذج متوفرة في تاريخ المغرب الأوسط، فوقفية أبي الحسن المتعلقة بمدرسة أبي مدين بالعباد من أرض تلمسان جمعت بين كتابتين (تأسيسية - وقفية) في وقفية واحدة.

كما تؤرخ الكتابة الوقفية للأحداث السياسية والتفاعلات الحضارية، إذ تعد وقفيات المغاربة في بيت المقدس شاهدا على إرتباط مغربنا الإسلامي بالشرق ومقدساته خلال العصر الوسيط، وتعكس تفاعل المغاربة مع محنة الاحتلال الصليبي، ودورهم في مجابهته.

الكتابات الوقفية تسد الفراغات الموجودة في النصوص التاريخية، كما أنها تعرفنا في الكثير من الأحيان بالإتجاهات السياسية والمذهبية لأصحابها على غرار: الفاتح، المجاهد، الزاهد، العابد....

وتعتبر النقوش الوقفية في حد ذاتها صنعة وتحفة تعكس تطور ورفاهية الحضارة الإسلامية وإبداعها، سواء في أنواع الخطوط وأشكال الحروف، الوسائط المنقوشة عليها، الزخرفة، مواد الحفظ وغيرها.

2. مساجد تلمسان: التأسيس، الدور، التحولات:

تعد تلمسان من أقدم مدن المغرب الأوسط الوسيط، وشهدت كغيرها من حواضر الجزائر العريقة توطينا واستقرارا بشريا منذ آلاف السنين، وبعد مجيء العرب الفاتحين ودخول هذا الصقع في أحضان الأمة والدين، ساهم ساكنتها في المناخ العام للحضارة الإسلامية عموما والمغربية على وجه الخصوص، فانتشرت بها مختلف العلوم والفنون، وتمايزت في صنوف المعقول والمنقول، وشدت الرحال لمؤسساتها، وجلس الطلاب من كل حذب وصوب عند علمائها، وتناقل الركبان علو أسانيدها، وانتشرت في الأصقاع أخبارها وبديع عمراتها، وكانت مساجدها معمورة، وفي الأفاق مشهورة.

لا توجد أرقام رسمية لعدد مساجد تلمسان الوسيطة، أو العصور اللاحقة (الوجود العثماني- الإستعمار الفرنسي)، غير أن المستشرق بارجس قد قدر تعدادها بأكثر من ستين مسجدا. (Barges, 1859: 22).
ويعكس هذا الرقم أهمية هذه الحاضرة ومكانة المسجد في حياة ساكنتها ومن استقر بها، وفي هذا السياق نوجز لأهم هذه المساجد وتحولاتها خلال العصر الوسيط:

1.2 الجامع الكبير بتلمسان 475هـ/1082م:

يعد الجامع الكبير والواقع بقلب مدينة تلمسان من أهم وأعرق المؤسسات الدينية والعلمية بهذه الحاضرة، ورغم شهرته وعراقته غير أن هنالك اختلاف في الآراء وتضارب في الروايات حول تاريخ تأسيسه (بين النشأة الإدريسية أو المرابطية).
إلا أن جل الدراسات والأبحاث تؤكد على أن تاريخ بنائه يرجع إلى سنة 475هـ/1082م وهذا بعد دخول الأمير المرابطي "يوسف بن تاشفين" لأرض المغرب الأوسط عام 473هـ/1080م، وتأسيسه لمدينة تاجرارات. (ابن خلدون، ج: 06، 2000: 247).

كان هذا المسجد في صورته الأولى عند التأسيس مسجدا بسيطا ذو طابع تقشفي، وهو ما يعكس البدايات الأولى للأمير المرابطي المؤسس، ودولته والقائمة على حياة الزهد والجهاد، والابتعاد عن الأبهة والافتخار.

بيد أن هذا الجامع لم يبق على حاله وصورته، بل شهد تحولا كبيرا في عهد الأمير الثاني "علي بن يوسف بن تاشفين" (537هـ/1143م)، خصوصا إذا علمنا أن هذا الأمير اختلف عن سابقه نظرا لمولده بالأندلس من أم أندلسية، ولم يخبر ويألف حياة الصحراء وقساوتها، بل ترعرع في جو قصور الأندلس وبديع عمرائها، وتشبع بثقافة ساكنتها، لهذا فقد حرص على طبع عمران دولته بالطابع الأندلسي، وانعكس هذا الأمر على مسجد تلمسان والذي تمت عملية بنائه من جديد في حدود سنة 530هـ/1136م، وأصبح الجامع ذو طابع أندلسي، وبهندسة معمارية في غاية الجمال ودقة الإتقان، وكان محرابه مشابه الشكل والتفاصيل لمحراب جامع قرطبة، وأيضا قبته المحمولة على العروق الخشبية (أضلاع). (مارسي، 2016: 151).

وكان هذا المسجد منارة علمية ليس في أرض المغرب الأوسط بل في بلاد المغرب، وكان من بين شيوخ وعلماء تلمسان والذين تفرغوا للتدريس فيه أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت: 771هـ/1370م)، وكان يحضر دروسه طلبة من المغرب الأوسط ومن المغرب الأقصى وفاس.
أ. الكتابة التأسيسية:

لا يزال هذا الجامع محافظا على شكله وبنائه، كما لا يزال شاهد الكتابة التأسيسية سالما ومحفوظا، وقد تم نقشه على طوق أسفل القبة التي تتقدم المحراب، وقد وقفنا عليها على هذا الشكل والرسم:
"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وسلم تسليما، هذا مما أمر بعمله الأمير الأجل علي بن يوسف بن تاشفين أيد الله أمره وأعز نصره وأدام دولته، وكان إتمامه على يد الفقيه الأجل القاضي الأوصل أبي الحسن علي بن عبد الرحمان بن علي أدام الله عزهم، فتم في شهر جمادى الأخيرة عام ثلاثين وخمسائة".

والكتابة التأسيسية التي ذكرناها منحوتة على الجص بخط نسخي مغربي جميل خالٍ من الزخرفة. (عبو، 2000: 30).



الكتابة التأسيسية للجامع الكبير بتلمسان والمؤرخة ب 530هـ/1142م

ب. الخصائص والمميزات:

عمل الموحدون بعد سقوط دولة المرابطين على إدخال تعديلات على العمران السياسي والديني في المغرب الأقصى والأوسط وحتى الأندلس، إلا أن الملاحظ عدم حدوث أي تغييرات جوهرية بالنسبة لجامع تلمسان عدا واجهته التي أصبح لها بابين يكتنفان المحراب، فالأول يقع على يمين المحراب ويؤدي إلى غرفة خاصة بحفظ المنبر، والثاني يقع يسار المحراب ويؤدي مباشرة إلى غرفة الإمام.

أصبحت تلمسان قطبا حضاريا ابتداء من سنة 633هـ/1235م، ومركزا ذو ثقل سياسي كبير في بلاد المغرب والمجال المتوسطي، وهذا بعد قيام وتوسع الدولة الزيانية، وقد عمل سلطانها يغمراسن بن زيان (ت: 681هـ/1248م) على إرساء معالم نهضة حضارية، بحيث شجع العلوم والفنون، واستقطب العلماء والأدباء كما اهتم بالعمران، وفي عهده تم توسعة المسجد في جهته الشمالية، وأضيف لها قسم ثابت خاص ببيت الصلاة والقبة والصحن، كما أضيفت له مئذنة في منتصف الجدار الشمالي للجامع على محور المحراب، وهي بهذا تخالف ما كانت عليه أغلب مآذن هذه الفترة، وهي مربعة الشكل ومزخرفة يحيط بها إفريز من الفسيفساء تكسوها تربيعات من الزليج. (بن أباجي، 2010: 79-80).

كما عمل خلفاء يغمراسن من بعده على إضافة خزائن الكتب لهذا المسجد وتوقيف الأوقاف عليها، لاسيما خلال عهد السلطان الأديب أبي حمو موسى الثاني وكان هذا سنة 760هـ/1359م، والذي حبس خزانة (مكتبة) نصها التوثيقي لايزال صامدا بالمسجد ومنقوشا على لوحة صغيرة من خشب الأرز.

كما أضيفت للجامع الكبير خزانة كتب أخرى على عهد ولي عهده السلطان أبي زيان محمد بن أبي حمو (ت: 805هـ/1404م)، حيث ورث هذا الأخير عن أبيه حب العلوم والفنون، فنسخ: "القرآن الكريم"، و"صحيح البخاري"، وكتاب "الشفاء" للقاضي عياض السبتي بيده (ت: 544هـ/1149م)، وحبسهم جميعا بخزانته التي كانت بهذا الجامع وأوقف عليهم. الأوقاف. (التنسي، 2011: 127).



صومعة الجامع الأكبر بتلمسان

2.2 مسجد أبي الحسن التنسي 696هـ/1296م:

بني هذا المسجد على عهد وبأمر من ثاني سلاطين الدولة الزيانية: أبي سعيد عثمان بن يغمراسن (681-703هـ/1282-1303م)، وكان الشروع فيه عام 696هـ/1296م، قبالة باب البنود من المشور القديم، وعلى بعد أمتار من الجامع الكبير.

وحسب ما ورد في الكتابة التأسيسية فإن ذلك كان تخليدا لذكرى وفاة الأمير: أبي عامر إبراهيم ابن السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، حيث يعد أكمل وأجمل معلم معماري وفني وصلنا من عهد سلاطين بنو زيان حكام المغرب الأوسط وتلمسان. (عولي، 2016: 122).

أما عن سبب تسميته "بمسجد أبي الحسن" فهو تخليدا لإسم الفقيه القاضي أبي الحسن يخلف التنسي، والذي كان على قدر كبير من العلم والتدين، وخدم رفقة أخيه الدولة الزيانية، وهذا المسجد مقارنة ببقية المساجد يبدو صغيرا، وهو استمرار لتقاليد محلية في الغرب الإسلامي في بناء مصليات صغيرة لا يوجد بها صحن، ويمكن تفسير صغره بكونه كان مصلى أميريا. (عولي، 2016: 122).

أ. الكتابة التأسيسية:

لاتزال الكتابة التأسيسية للمسجد سليمة ومحفوظة في مكانها الأصلي، منقوشة على لوحة رخامية من الأونيكس، مستطيلة الشكل، وملونة الخلفية بالأخضر، ومثبتة وسط الجدار الغربي للمسجد، طولها 1م وعرضها 0,53م، مكونة من قسم أوسط على هيئة عقد، ومدونة عليها قائمة تضم الأملاك الموقوفة والمحبة على المسجد، وإطار نقش عليه إلى جانب البسملة والصلاة والسلام على النبي محمد وآله الأطهار وصحبه الكرام، وإسم الشخصية التي بني المسجد تخليدا لروحها وذكرها، وهو الأمير: أبو عامر إبراهيم بن يغمراسن بن زيان، وهو أخ السلطان والأمر لبناء هذا المسجد: أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، مع ذكر تاريخ البناء وهو: سنة 696هـ/1296م.

و جاء هذا النقش وهاته الكتابة التأسيسية على الشكل الآتي:

الكتابة العمودية اليمنى:

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الكتابة الأفقية العليا:

بنى هذا المسجد للأمير أبو عامر إبراهيم ابن السلطان

وفي الكتابة العمودية اليسرى:

أبي يحيى يغمراسن بن زيان في سنة ست وتسعين وستمائة من بعد وفاته رحمه الله.

وتفاصيل هذه الكتابة التأسيسية ذاتها الموجودة على إفريز كتابي بالخط الكوفي، ومنقوشة على الجص

بداخل لوحتين مستطيلتين على جانبي عقد المحراب .

ضف لهذا فإن الكتابة التأسيسية منقوشة كذلك على جانبي المحراب.



الكتابة التأسيسية الثانية والمنقوشة على محراب مسجد أبي الحسن التنسي

ب. التحولات والتغييرات على هذا المسجد:

يعد هذا المسجد من أقدم المساجد الزيانية، والتي بقيت محافظة على طابعها المعماري العام. كما شهد هذا المسجد عبر تاريخه العديد من التحولات، وفقد نسبياً بريقه ومكانته خلال العهد العثماني نتيجة الإهمال، غير أن أعمق التحولات التي مسته كانت من طرف إدارة الإستعمار الفرنسي، والتي حاولت العبث بالشخصية الوطنية والمؤسسة والهوية الدينية لشعبنا، فحولته خلال الفترة الممتدة ما بين 1836-1848م إلى مخزن للخمر والعلف، ثم إلى مدرسة قرآنية عام 1949م، وبعدها إلى مدرسة فرنسية عربية عام 1895م، وفي عام 1900م شب فيه حريق وتقرر بعد ذلك ترميمه وتحويله إلى متحف، وبعد الإستقلال وتحديداً في سنة 2011م وفي خضم فعاليات تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية تم تهيئته ليصبح " المتحف العمومي للخط الإسلامي".

وقفنا في هذا المسجد أيضاً على كتابة أخرى أصلية منقوشة ومزخرفة على لوح من الزليج غير مكتملة، واستطعنا أن نقرأ منها ما يلي:

يوم النزال يوم العدا

وموقعها في أعلى الباب المؤدي إلى ساحة المسجد سابقا، والآن تطل على البهو الثاني للمعرض الذي يحتوي على معروضات المخطوطات، والمصاحف، وبقية التحف.



نقش أثري على البوابة المؤدية لساحة مسجد أبي الحسن التنسي

ج. الخصائص والمميزات

المسجد في شكله وبنائه قريب من المربع بمقاسات 10.20 م طول، وعرضه 9.70 م، وهو يتألف من بيت للصلاة تضم ثلاث بلاطات عمودية على جدار المحراب، تحدها صفان من أعمدة من الرخام تعلوهما تيجان وهي من أجمل تيجان العالم الإسلامي، وهو يخلو من الصحن المكشوف وقد يفسر هذا على أنه قد يكون مسجد مخصص للآمراء.

ومحراب هذا المسجد على قدر متميز من الصنعة والجمال والإتقان، وهو مزين بثلاثة أنواع من الزخرفة: نباتية، وهندسية، وخطية، وقد استعمل في هذه الأخيرة العديد من الخطوط منها: الكوفي، والنسخي المغربي، والثلاث.

أما بالنسبة لأعمدته فهي رخامية ومن الأونيكس الأبيض النادر، وهو محلي الصنع، كان يُجلب من منطقة تاقبالت.

3.2: مسجد أبي مدين (739هـ/1339م):

سُمي هذا المسجد "بمسجد أبي مدين" أو "سيدي بومدين" لأنه بني وألحق بضريح الشيخ الزاهد العابد: "أبي مدين شعيب" (ت: 594هـ/1197م)، كما سُمي "بمسجد أبي الحسن" نسبة إلى مؤسسه السلطان المغربي: أبي الحسن المريني (ت: 752هـ/1351م)، ويسمى أيضا "بمسجد العباد" لأن بنائه كان بقرية العباد الواقعة في الجنوب الشرقي لتلمسان، وكان لهذا المسجد وتوابعه وعلى حسب المصادر أوقاف كثيرة (ابن قنفذ، 1965: 106)، وأوكل الإشراف على بنائه لعم ابن مرزوق الخطيب الجد، وهو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق. (ابن مرزوق، 1981: 403).

أ. الكتابة التأسيسية:

بني وأسس هذا المسجد في ظروف سياسية خاصة مَرَّ بها المغرب الأوسط عموما، والدولة الزيانية وتلمسان على وجه الخصوص، وهذا بسبب سقوط الدولة الزيانية وحاضرتها تلمسان، ودخولهما تحت حكم أبي الحسن سلطان بنو مرين.

كان السلطان أبي الحسن ذو طموح سياسي ومشروع وحدوي، كما كان معروفا ومشتهرا بحبه وشغفه للبناء والتعمير أينما حكم وحل وارتحل، ومن ثمة شرع في تأسيسه لهذا المجمع الديني والعلمي (مجمع أبي مدين).

وتاريخ التأسيس يرجع إلى سنة 739هـ/1338م، لكن في المقابل نجد تاريخ آخر للتأسيس وهو السابع من شهر ربيع الثاني لعام 749هـ/1347م، وهذا التضارب نفسه بأن التاريخ الأول هو للمسجد، وهو موثق في كتابة أثرية تأسيسية في شريط بواجهة الجامع الشمالية، ونصه كما يلي:

" الحمد لله وحده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي بن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان بن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيده الله ونصره عام تسعة وثلاثين وسبعمائة نفعهم الله به ."

والتاريخ الثاني لتأسيس أو إكمال البناء في أحد مرافقه، وهي المدرسة أو " مدرسة سيدي بومدين"، وغلب عليها إسم: مدرسة العباد، وسميت في فترات متأخرة باسم " المدرسة الخلدونية"، لأن العلامة عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت: 1406/808م) قرأ وتعلم بها. (Marçais, 1903: 274)

وظلت هذه المدرسة الملحقة بالجامع محافظة على دورها وأهميتها، واحتفظت بجمالها ورونقها حتى بعد زوال الهيمنة المرينية ونهاية العصر الوسيط، ودليلنا على هذا وقوف الحسن الوزان في رحلته عليها ووصفها بأنها: "مدرسة جميلة جدا". (الوزان، 1983: 24).



مدرسة أبي مدين شعيب بالعباد (تلمسان)

وتاريخ التأسيس هذا (الثاني) عبارة عن أبيات شعرية كتبت بخط أندلسي تحت القبة على إفريز من الخشب وهي تسعة أبيات:

الحمد لله رب العالمين
بناني كي يقيم لدي دينا الإسلام أمير المسلمين
أبو الحسن الذي فيه المزايا تفوق النظم بالدم الثمين
إمام لا يعبر عنه وصف بما أجرى به الأعمال دينا

سلیل أبي سعید ذي المعالي أقرإلي الأمام بها عیونا
وقد سماه خالقه علیا فأعلاه وأعطاه یقینا
أبانا بالمصلحات منه دینا وإیماننا یكون له معینا
لشهرربیع الثاني لسبع خلون من السنین وأربعینا
إلی سبع مئین فدام سعد محوله مقاصده فنوننا
وكان له الإله علی اتصال علی مرضاته دأبا معینا

والكتابة التأسيسية للمسجد وجدناها في أكثر من موضع داخل المسجد وفي الخارج عند مدخله، وهذه الأخيرة وقفنا عليها في شرقيه، وهي في غاية الصنعة والإبداع.



الكتابة التأسيسية لمسجد أبي مدين والواقعة شرقي مدخله

ب. الخصائص والمميزات:

مثّل هذا المسجد مؤسسة ضمن مجمع متكامل ضمّ: دار السلطان، الضريح المدرسة والزاوية (شاوش، 2011: 235).

وقد وصف بأنه: "عز مثله، واتصفت بالحسن والوثاقة أشكاله، أنفق فيه مقدارا جسيما ومالا عظيما". (ابن مرزوق، 1981: 403).

وكان هذا المجمع ومسجده محل إهتمام من طرف ساكنة تلمسان والمغرب الأوسط، بل حتى بلاد المغرب وهذا نظرا لخصوصيته والمتمثلة في قربه من ضريح الزاهد العابد "أبي مدين شعيب"، وكان هذا الضريح والمزار قبلة للمتصوفة والزهاد والعباد، والعوام من ساكنة تلمسان وبلاد المغرب (الوزان، 1983: 24). وقد حرص السلاطين من بني مرين والداخلين إلى تلمسان على زيارة هذا المجمع وضريحه والدعاء عنده. (النميري، 1990: 486).

وكان بنائه على مساحة أرضية مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب، وأبعاده هي: 28.85م / 18.95م. من الناحية الفنية هذا المسجد لا يختلف في تفاصيله عن عمران وبنيان الأندلس في عهد بني الأحمر، فالزخارف النباتية والهندسية تكسوان جميع جدرانه، وهي موزعة على تقاسيم في غاية الروعة والجمال (سالم، 1989: 63)، ومغطاة بالجص المنحوت على شكل بنايات وأشكال هندسية تتداخل مع

الكتابات المختلفة، كما تم تزيين واجهته بمدخل أنيق وباب برونزي غاية في الإبداع، أما قبته فهي مزخرفة بالمقرنصات، ومحرابه يشبه محراب مسجد أبي الحسن. (فيلاي، 2002: 148).

3. النقوش الوقفية بمساجد تلمسان الزبانية: مادة تاريخية وأعجوبة أثرية:

مما لا شك فيه أن الكتابة الوقفية هي من إنجازات وإبداعات الحضارة الإسلامية، فالمستقرئ لها يدرك بما لا يدع مجالا للشك بأنها من أصح المصادر التاريخية، فهي شاهدة على الحضور السياسي، والمناخ العلمي والديني، والفعل الاجتماعي والخيري، كما أنها تحفة فنية ولوحة نموذجية لما وصلت إليه الزخرفة والخط ومختلف الفنون الإسلامية، وقد حظي العمران الديني والعلمي لتلمسان بهذا الإبداع، بل إن تلمسان كانت خلال العهد الزياني ومساجدها المعمورة بحق أنموذجا رائدا ومتميزا لهذه الفنون.

1.3. وقفيات الجامع الكبير بتلمسان: 475هـ/1082م:

يتميز الجامع الكبير بتلمسان عن غيره من جوامع المغرب الأوسط بوجود نقوش أثرية تأسيسية في غاية الأهمية، وتحف زخرفية في غاية الدقة والإتقان ترجع إلى الفترة الأولى للتأسيس، كما توجد نقوش فنية ومعالم أثرية وتاريخية لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي قرينة على حضور السلطان الزياني وبصمته في العمران الديني والتعليمي لتلمسان، ومن أهم ما وقفنا عليه في هذا السياق النقش والكتابة التأسيسية والوقفية لخزانة الجامع الكبير (مكتبة): والمسماة على النقش " بالخزانة المباركة "، والتي أمر ببنائها فارس الزمان ومعي دولة آل زيان: أبي حمو موسى الثاني (790هـ/1389م) وكان أبو حمو بإجماع المصادر عالما وأديبا ذو نثر رائق وشعر فائق، مؤلفا في علم السياسة الشرعية، محبا للعلم والعلماء، ومكثرًا للأوقاف ومرتبًا فيها الجريات (التنسي، 2011: 127)، ونقش الخزانة لازال موجودا ومحفوظا في الجهة اليمنى لقاعة الصلاة، ونصه على النحو التالي:

" أمر بعمل هذه الخزانة المباركة مولانا السلطان أبو حمو إبن الأمراء الراشدين أيد الله أمره وأعز نصره ونفعه بما وصل ونوى وجعله من أهل التقوى وكان الفراغ من عملها يوم الخميس ثالث عشر ذي القعدة عام سبع مائة وستين "



وقفية السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني والمتعلقة بخزانة (المكتبة) الجامع الكبير
والمؤرخة بسنة 760هـ/1358م

إن الكتابة الوقفية للجامع الكبير بتلمسان تؤرخ للحضور المرابطي بالمغرب الأوسط وتوسعه، وهي قرينة على التوجه الديني والعمراني لمؤسس الدولة يوسف بن تاشفين، كما أن توسعته وزخرفته الأندلسية مؤشر على التوجهات الفنية للأمير المرابطي الثاني علي بن يوسف، وتداخل الفن المغربي مع الفن الأندلسي.

أما بالنسبة للخزانة فهي من تأسيس السلطان أبي حمو موسى الزياني الثاني (760-791هـ/1359-1388م)، وتم تشييدها بتاريخ 13 من شهر ذي القعدة لعام 760هـ/1359م، أي بعد تسعة أشهر من حملته المظفرة ضد بني مرين، واسترجاعه لتلمسان وملك بني زيان.

والوقفية في هذا المسجد بالضبط دلالة على مكانته وخصوصيته باعتباره المسجد الجامع، وهو من المساجد السلطانية والقريبة من المشور مقر حكم وإدارة بنو زيان، ضف إلى ذلك أن الخزانة وتوقيفها قرينة على الشخصية العلمية والتوجهات الدينية لأبي حمو، وهو ما أجمعت عليه المصادر كونه رجل علم وأدب، كما تعكس هذه الوقفية خصوصية الأسرة الزيانية منذ مؤسسها الأول واهتمامها بالعلم والعلماء، وتشجيع العمران الديني والتعليمي.

أضف لهذا فإن الكتابة الوقفية المتعلقة بالخزانة غنية بالألقاب السلطانية، والتي كانت تتخذها الأسرة الزيانية في الخطب والمراسلات والتجبيسات منها: المولى، السلطان، الأمراء الراشدين.

2.3. الكتابة الوقفية مسجد أبي الحسن التنسي 696هـ/1296م:

وحبس لهذا المسجد

عشرون حانوتا منها بمخاط قبلته

أربعة عشر وأمامها ستة

أبوابها تنظر للجوف

ومصرية بغربي المسجد على باب

الدرب وداران إثنان بغريه

الواحدة لسكنى أمامها

والثانية لسكنى المؤذن القيم بخدمته

وأذانه تحييسه تاما مؤبدا

احتسابا لوجه الله العظيم



وقفية مسجد أبي الحسن التنسي والمؤرخة بتاريخ: 696هـ/1296م

لاتزال هذه الكتابة الأثرية التأسيسية والوقفية محفوظة لحد الساعة، وهي مثبتة على الجدار الغربي للجامع (مسجد أبي الحسن)، وهو متحف تلمسان اليوم، تتضمن شطرين من الكتابة، الأول نص تأسيسي، والثاني

وقفي، وهي مكتوبة على لوحة رخامية مستطيلة الشكل بالخط الكوفي ونقش بارز، ومزخرفة داخل أشرطة تكتنفها زخارف نباتية، إضافة للنص المتواجد بوسط اللوحة نفذ داخل عقد مفصص يكتنفه عمودان. (مرابط ليلي وآخرون، 2023: 28).

يأتي بناء هذا المسجد في إطار السياق العام الذي تبنته الأسرة الزيانية وهو تشييد العمران الديني والتعليمي، وتسميته بمسجد أبي الحسن التنسي هو تكريم بنو زيان حكام تلمسان لعلماء وفقهاء عصرهم، وقد أكدت وأجمعت المصادر على هذا، فالسلطان المؤسس يغمراسن: "كان له في أهل العلم رغبة عالية، يبحث عليهم أين ما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده ويقابلهم بما هم أهل له". (التنسي، 2011: 127).

وقد ذكر التنسي أن يغمراسن كان ي كاتب أبو إسحاق إبراهيم بن ي خلف بن عبد السلام التنسي ويرغبه في سكنى تلمسان، والتنسي كان أعلم زمانه، وكانت تأتيه الفتاوى من إفريقية وتلمسان إلى تنس، ولما حل بتلمسان وسمع يغمراسن بقدومه، ركب بنفسه، واجتمع معه في الجامع الأعظم، ومعه فقهاء تلمسان وقال له:

"ما جئتك إلا راغباً منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج". (التنسي، 2011: 127). وقد فعل السلطان الثاني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن الأمر ذاته مع العالم الفقيه أبي الحسن التنسي أخو العالم أبو إسحاق إبراهيم التنسي، وفي عهد السلطان أبي تاشفين ورد على تلمسان عالم زمانه، وأفقههم بمذهب مالك: أبي موسى عمران المشدالي، فأكرم السلطان نزله، وولاه التدريس بالمدرسة الجديدة (التاشفينية)، أما في عهد السلطان محي الدولة أبي حمو فقد لمع نجم أبي عبد الله الشريف التلمساني "فارس المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والأصول" (الونشريسي، 1981: 224)، وقد كان أبي حمو له واصلًا ومراسلاً، ولبركته ملتصقاً، وبني له مدرسته الشهيرة. (التنسي، 2011: 179).

3.3. الكتابة الوقفية لمسجد أبي مدين (739هـ/1338م):

لا يزال مسجد أبي مدين محافظاً على نظامه التخطيطي إلى يومنا هذا، كما لا تزال وقفيته بالعباد سليمة إلى حد بعيد، ومحفوظة ومقروءة، وفي الفترة المعاصرة بذلت المدرسة الفرنسية جهوداً معتبرة لإعادة إكتشاف آثار تلمسان الإسلامية الوسيطة، والبداية كانت بكتابات القس بارجس، ونضجت مع بروسلا والذي سخر واعتمد بشكل كبير على فقهاء وأئمة تلمسان، لاسيما الباحث سي حمو بن روستان والذي يعد أول خبير قرأ وأهتم بالكتابات الأثرية لمعالم المنطقة، وهو صاحب مؤلف: "تحفة الإعتبار فيما وجد من الآثار بمدينة الجدار: جامع الكتابات الأثرية التلمسانية". (بن روستان، 2021).

وتواصلت البحوث والدراسات وقراءة النقائش على يد الأخوين: وليام و جورج مارسي، ولا تزال حفرياتهم وبحوثهم في المجلة الإفريقية أو المؤلفات الأخرى مراجع أساسية لآثار تلمسان الإسلامية.

إن الكتابة الوقفية للعباد ومسجده منقوشة على لوحة رخامية مثبتة في جسم الدعامة الأولى يسار بلاطة المحراب العمودية في الجامع، وهي كالتالي:



وقفية مسجد سيدي بومدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليماً

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، أمر ببناء هذا الجامع المبارك مع المدرسة المتصلة بغربيه مولانا السلطان الأعدل أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق أيد الله أمره وخلد بالعمل الصالح ذكره وأخلص الله تعالى في عمل البر سره وجهه.

وحبس المدرسة المذكورة على طلبة العلم الشريف وتدريسه، وحبس على الجامع المذكور والمدرسة المذكورة من الجنان العلي نفعهم الله بذلك وجميع جنان القصير الذي بالعباد الفوقي المشتري من ولدي عبد الواحد القصير وجميع جنان العلو المشتري من علي بن المراتي وجميع الجنان المعروف بابن حويته الكائن بزواغة المشتري من ورثة الحاج محمد بن حويته وجميع الجنان الكبير والدار المتصلة به من جهة غربية المعروف باسم داود بن علي المشتري من ورثته وهو بأسفل العباد السفلي، وجميع الرقعتين الموروثتين أيضاً عنه واشترينا من ولده علي، وتعرف إحدهما بابن أبي إسحاق والثانية بابن صاحب الصلاة المغروس منهما وغير المغروس، وجميع الجنان المعروفة بجنان البادسي الموروث أيضاً عنه، المشتري من يحيى بن داود المذكور وهو بأسفل العباد السفلي، وجميع الجنان المسمى بن قرعوش القريب من جنان البادسي المذكور الموروث أيضاً عنه، واشترى من ولديه عبد الواحد وعيسى وجميع غروساته الأربع، الفوقي منها يعرف بابن مكية، والثاني بمحمد بن سراج، والثالث بفرج المدلسي والرابع بابن الفراق، وهي التي ورثت أيضاً عنه واشترت من جميع ورثته، وجميع داريه التي بجوفي مسجد العباد السفلي المشتراة أيضاً منهم، والنصف الواحد من جنان الزهري مع جميع بيتي الرحا المبنية بقرية وذلك بجهة الوريث، وجميع بيتي الرحا المبنية أيضاً بقلعة بني معلى خارج باب كشوط من تلمسان حرسها الله، وجميع الحمام المعروف بحمام العالية الذي بداخل المدينة المذكورة بجهة باب الحديد مع حانوتيه المتصلتين به على يمين الخارج من بابه القبلي ودويراته المتصلة به من جهة جوفيه، ومصريته المحمولة على أسطوانته والنصف الواحد من الحمام القديم الذي بداخل مدينة المنصورة حرسها الله، ومحرت عشرين زوجاً... من زيدور من نظر تلمسان المذكورة برسم إتمام الطعام بزواية العباد عمرها الله للفقراء والحجاج المقيمين... والواردين عليها وإثرة عشرة أزواج بالموضع المذكور برسم ساكني المدرسة المذكورة بحساب خمسة عشر صاعاً للطالب الواحد في كل شهر، وجميع جنان سعيد ابن الكماد المشتري من ورثته، وهو الكائن فوق العباد العلوي، وتحت ساقية النصاري، وجميع جنان القائد مهدي المشتري من ورثته الكائن بزواغة المحروسة، وجميع جنان التفيرسي الكائن تحت الطريق المارين عليها للوريث المشتري من ورثته وجميع أرض جنان ورثته التفيرسي المذكور الكائن غربي الزاوية المشتراة منهم، وبقيّة الرحاب المتصلة بالجامع المذكور الباقية من الجنان المربد بعضه في الجامع المشتري من ورثة محمد بن عبد الواحد، ومن ورثة أبيه وأمه وعمتهم ميمونه، ولم يتبقى لورثتهم حق ولا مطلب، وحبس على الزاوية المذكورة والجامع بالعباد ربع... الملاح

وقفية مسجد سيدي بومدين

لا تزال هذه الكتابة محفوظة وقد نقشت على لوحة من الرخام مستطيلة الشكل 1.42م × 0.56م، وهي مثبتة على يسار البلاطة الوسطى أمام المحراب، تشمل 36 سطرا من الكتابة، نقسمها ضمينا لقسمين: قسم خاص بالتأسيس، وقسم خاص بالأملالك الموقفة.

بالإضافة إلى القيمة الجمالية لنص التأسيس والوقفية، في المقابل نجدها تحمل في طياتها حقائق تاريخية، فهي تؤرخ للحضور السياسي والعسكري المريني على أرض المغرب الأوسط وتلمسان، كما أنها تؤرخ للسلطان أبي الحسن بصفته رجل علم وعمران، وهذا من خلال توقيفه لأوقاف كثيرة مذكورة سابقا بالمسجد والمدرسة على طلبة العلم والمتعلمين، والفقراء والمحتاجين.

الوثيقة غنية بمعالم تلمسان ووحداتها العمرانية، ودراستها والتفحص فيها ومقارنتها بالمصادر الأخرى المادية والكتابية من شأنه أن يقودنا لإعادة تصور وتركيب بنية وتفاصيل مدينة تلمسان الوسيطة، كما يكشف عن العديد من الجوانب الاجتماعية بها، ومن بين ما ذكر فيها ما يلي: العباد العلوي، العباد السفلي، زاوية العباد، قلعة بني معلى، باب كشوط، باب الحديد، حمام العالية، ساقية النصر، زواغة المحروسة...

تؤرخ الوقفية للحياة العلمية والتعليمية بتلمسان، وتبرز مكانة العلم عند سلاطين المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، كما أنها تبرز بعض آليات العناية بطلبة العلم بتلمسان ومدرسة العباد، والجهود المبذولة للتكفل بهم، وتفاصيل ما حبس عليهم، وقد رصد لكل واحد منهم على حسب النص الوقفي من الطعام قيمة خمسة عشرة صاع.

أضف لذلك فالنقيشة الوقفية بالعباد تعد وثيقة مصدرة للألقاب السلطانية والفخرية التي حملها السلطان أبي الحسن، ونذكر منها:

المولى، السلطان الأعدل، أمير المسلمين، كما أن لقب "المجاهد في سبيل رب العالمين" يشير ويؤرخ لانتصار هذا السلطان على الصليبيين في شبه الجزيرة الأيبيرية، وهذا الوصف لا يطلق إلا على كبار السلاطين ممن انخرطوا في جهاد النصر وكانوا عوناً للمسلمين والمجاهدين.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة نستنتج ما يلي:

شكلت تلمسان الإسلامية أحد أهم المراكز الحضارية في المجال المغاربي خلال العصر الوسيط، وتميزت ببريقها الحضاري وتفاعلها السياسي.

حظيت المؤسسات الدينية وفي مقدمتها المساجد باهتمام السلطة في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، وكانت تلك المؤسسات محل تشييد وتوسعة، وتبارى الحكام والرعية على توقيف الأوقاف عليها.

يبرز "الجامع الكبير" بتلمسان في مقدمة مساجد تلمسان والمغرب الأوسط من حيث الأقدمية والرمزية، فهو يؤرخ للحضور المرابطي، ويعتبر نموذجا عن الفن المعماري الأندلسي العتيق، كما أن توسعته وتشيد محرابه خلال القرن 7هـ/13م، وبناء خزانته الوقفية وتوقيف الأوقاف عليه لقريظة على التوجه العمراني والديني لمؤسس الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان وخلفاءه من بعده.

يظهر "مسجد أبي الحسن التنسي" والقريب من "الجامع الأعظم" و "قصر المشور" كأول مسجد أسس من طرف بنو زيان حكام تلمسان، ويرجح بأنه كان من المساجد السلطانية، وهو يتميز بهندسة معمارية في

غاية الجمال ودقة الإتقان، ورغم التغييرات التي طرأت عليه، وجرائم الإستعمار الفرنسي التي لحقت بالعديد من مرافقه، إلا أنه وقف صامداً وبقيت لوحته التأسيسية والوقفية شاهدة على صوت ورسالة مؤسسيه. أصبح "العباد" بتلمسان ذو رمزية دينية، وقبلة للزهاد والصوفية، وهذا بسبب وجود قبر العالم الزاهد العابد "أبي مدين شعيب التلمساني" والذي فاقت شهرته الأمصار والأقطار، وكان موضعه محل إهتمام سلاطين بني مرين وعلى رأسهم أبي الحسن الذي اهتم بصريحه، وبني بالقرب منه مدرسة وجامع، وأوقف عليه وعلى طلبته والمجاورين له الأوقاف الكثيرة، ولا تزال الشواهد الوقفية والكتابات التأسيسية شاهدة على التداخل السياسي، والمشتك الديني والثقافي لحكام وساكنة بلاد المغرب خلال العصر الوسيط.

بيبليوغرافيا الدراسة:

القرآن الكريم:

السنة النبوية:

النسائي، أحمد بن شعيب، (2018)، سنن النسائي: المجتبى، تح: محمد رضوان عرقسوسي وآخرون، ج. 6، ط. 1، سوريا، دار الرسالة العالمية.

مسلم بن الحجاج، أبي الحسين، (1998)، صحيح مسلم، السعودية، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع.

أبي داود، السجستاني، (2009)، سنن أبي داود، تح: ضبط- تخ: تع: شعيب الأرنؤوط- محمد كامل قره بللي، ج. 04، سوريا، دار الرسالة العالمية.

ثالثاً: المصادر:

ابن مرزوق، محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة- تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا- تقديم: محمود بوعباد، (دت)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

النميري، ابن الحاج، تحقيق: محمد ابن شقرون، (1990)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، ط: 01، دار الغرب الإسلامي.

ابن قنفذ، أحمد بن الحسين القسنطيني، (1965)، أنس الفقير وعز الحقير، نشر: محمد الفاسي- أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي.

التنسي، محمد بن عبد الله، (2011)، تاريخ بنو زيان ملوك تلمسان: مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان تحقيق- تعليق: محمود أغا بوعباد، موفم للنشر.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، (دت)، لسان العرب، دار صادر.

السرخسي، شمس الدين، المبسوط، (دت)، دار المعرفة.

الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى، (1981)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية.

ابن حجر، أبو الفضل العسقلاني، (2013)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: سليم عامر وآخرون، ج. 08، ط. 1، سوريا، مكتبة الرسالة.

النووي، محي الدين بن يحيى، (دت)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تح: عمار باكور، مؤسسة الرسالة ناشرون.

الفيروز ابادي، مجد الدين، (1998)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة.

الوزان، حسن بن محمد، (1983)، وصف إفريقية، تر: محمد حجي- محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي.

المقدسي ابن قدامة، (1997)، المغني، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي- عبد الفتاح محمد الحلو، ج. 08، السعودية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

الشافعي، ابن الملقن، (2017)، الإشارات إلى ما وقع في المنهاج من الأسماء والأماكن واللغات، ج. 02، ط. 01، الفيوم، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقق التراث.

ابن خلدون، عبد الرحمن، (2000)، تاريخ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،

ظبط: خليل شحادة- مر: سهيل زكار، ج. 06، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

المراجع:

- مارسي، جورج، (2016)، الفن الإسلامي، تر: عبلة عبد الرزاق- مر: عاطف عبد السلام، المركز القومي للترجمة.
- موساوي، عبد المالك، (2011)، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان: المساجد والمدارس، دار السبيل، الجزائر.
- شاوش، الحاج محمد بن رمضان، (2011)، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج: 01، ديوان المطبوعات الجامعية.
- سالم، السيد محمود عبد العزيز، (1989)، روائع الآثار الإسلامية في جمهورية الجزائر: تاريخ العرب والعالم، (ع 130).
- بن رويستان، سي حمو، (2021)، تحفة الاعتبار فيما وجد من الآثار بمدينة الجدار، جامع الكتابات الأثرية التلمسانية تقديم- تحقيق- تعليق: علاوة عمارة- فارس كعوان، الجزائر، دار الهدى.
- عبو، يوسف، (1999-2000)، الكتابات الأثرية في منطقة تلمسان من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة تلمسان.
- عبد الجواد، لطفي، (2007)، النقائش العربية وكتابة التاريخ: (إفريقية أنموذجا)، مجلة الحياة الثقافية (ع 182).
- إسماعيل، عثمان عثمان، (1992)، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى: عرب المغرب القدماء ودولة الأشراف الأدراسة وعصر أمراء زناتة- الطراز المغربي العربي القديم والطراز الإسلامي المبكر، ج. 01، ط. 01، المغرب، الهلال العربية للطباعة والنشر.
- محمد لخضر عولي، 234، (2016)، الزخرفة المعمارية الإسلامية في عهد بني مرين وبني زيان، الجزائر، مطبعة دار النعمان.
- رفيق يونس المصري، (1999)، الأوقاف فقها واقتصادا، ط. 01، سوريا، دار المكتبي.
- هشام بوهاش، (2020)، الوثائق الوقفية في العالم الإسلامي: حماية للوقف والتاريخ، لبنان، منشورات مركز نماء للبحوث والدراسات.
- يحياوي العمري، (2014-2015)، الكتابات الأثرية في الغرب الجزائري "دراسة تنميطية"، أطروحة دكتوراه، الجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد.
- مرابط ليلي وآخرون، (2023)، الكتابات الأثرية التأسيسية بالمغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العثماني- دراسة، جرد، تنميط، تحليل - الجزائر، منشورات جامعة الجزائر 02- أبو القاسم سعد الله.
- فيلالي، عبد العزيز، (2002)، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج. 01، الجزائر، موفم للنشر.
- Georges, Marçais, (1903), Les monuments arabes de Tlemcen, Fontemoing.
- Bargès, (1859), **Tlemcen souvenirs d'un voyage**, imprimerie orientale de Nicolas Amenlon.